الشعر والترجمة..

بقلم محيي الدين محمد

أن نترجم الشعر معناه أن نحقق الاستحالة: ذلك لان الشعر لفظة منغومة .. ثم فكرة .. ، فلو فصلنا بينهما – ونحن نفعل حتماً – لأصبحا : إما نثراً خالصاً ، وإما صورة مفككة تختلف عن الاصل .

ومن جهة ، لو حاولنا إضافة موسيقية من عندنا للفكرة الاجنبية فقد تضيع قصدية الشاعر ونطفو نحن في الضحالة المستحدثة للمعنى الجديد .

والفرق واضح بين الشعر والنثر: فالشعر صورة ومضمون بايقاع ، والنثر منطق . إننا نفقد القصيدة وضوحها حين نستعمل في الترجمة بعض الالفاظ محل بعضها الآخر .

إن الكلمة المستبدلة في القافية تعطي امكاناً بمفهوم جديد يخالف المعنى الذي اتجه له المرهص ، وهي تستبدل حتماً لاننا لا نلتزم القافية كما في الاصل الغربي. بل يختلف الوضع حسب الترجمة ، فتوضع الكلمة المقفاة في الوسط او في اول القصيدة، وهذا يجرنا الى إضافة كلمة مقفاة ينتهي بها الشطر من عندنا .

إن الشاعر الجيد يختار اللفظة التي تحمل امتداداً ضبابياً ، ينقب باحثاً عن الكلمة التي يكمن فيها معناه الذي يقصد .. ثم يتناول المترجم الكلمة الموضوعة بعمق ويحيلها لفظة قاموسية لها نظائر تُنهي مسئوليته ، وتقتل معنى القصيدة .. كما نشاهد في جملة « The Boat Responded » من «الارض الخراب».. فقد عرب المترجم كلمة (Responded) بمعناها القاموسي .. « Answering » ... اي (أجاب) .. ولكن المعنى الذي يقصده الشاعر هو (استجاب)، وفرق في الدقة بين الاجابة، والاستجابة. وفي حالة استحداث المترجم موسيقية من عنده يبرز الافتعال بجلاء ، ويضيع المضمون الذي وضعه الشاعر ؛ لانه ما من كلمة توضع بالتبادل لتحقيق الوزن إلا وتحيد عن المعنى الاصلي محققة معنى مختلفاً .. ففي قصيدة (نكراسوف) [1] .. « أطفال الفلاحين » يغثينا المترجم بمثل هذه الابيات :

جرى لابيه في الحقل فرص بقية الحزم
وأركبه على العربه وقال له امض واستقم
فآب كقيصر الامم !!

وهذا الوضع « الشعري » الذي اختاره المترجم يدل على أن هذا المكتوب ليس نثراً ؛ ولكننا لو فردنا هذا التقطيع الفني إلى سطر واحد لاستقام المعنى ..

إن الشعر موسيقى ومعنى وظلال ، فحين نعربه يضيع عنصر من هذه العناصر إلى الابد .. وتعطينا المثل فقرة من (الارض الخراب) لاليوت ...

« And bats with baby faces in the violet light
« Whistled, and beat their wings
« And crawled head downward down a blackened wall
« And upside down in air were towers
« Tolling reminiscent bells, that kept the hours. »

وترجمها المعرب: «وفي الضوء العنيف تصفر ـ بوجوه طفلية ـ خفافيش
تزمجر برؤوس خافضة تحت جدار مسود ..
وفي الهواء تدق أبراج مقلوبة
أجراس الذكرى التي تحفظ الزمن .. »

بون شاسع بين الاصل والترجمة . لقد اقتنصنا المضمون الحرفي ، ولكننا افتقدنا الموسيقية وبدونها يتجمد الشعر ويصبح نثراً .. وفرق كبير بين ان نشعر بالاهتزاز في لغة الشاعر وبين أن يصدمنا جفاف الكلمات الصخرية في الترجمة ... وفي (إلهيات يونس أمره) [1] مثل عجيب لنقص العنصر الراقص في الشعر الموزون :

« جقدم أريك دالنه آنده يدم أو زومي »
« بوستان أسي قاقيوب ديرنه يرشن قوزومي »

لقد أضاع المعرب صياغتها الموسيقية ، وجعلها عرضاً نثرياً انتفت منه هزة النغم :

« طلعت على شجرة البرقوق وأكلت منها العنب »
« فنهرني صاحب البستان قائلاً: لم تأكل جوزي ؟ »

---

١ (نكراسوف) مجلة الغد . العدد الثاني ص ٦٠

١ شرح محمد نيازي المصري (مجلة كلية الآداب).

ولو كانت كل الكلمات سيارة كما في الكلمة الصينية (تشا Tchà) التي صارت تشاي Tchai بالروسية .. و (شاي) بالعربية لاستطعنا الاستمتاع بشعر الأمم كلها .. لانها تعطينا نفس الهزة والمعنى .

وقد نترجم الحكم والأمثال لأنها مضمون : « الأجنبي كالخيط ينفذ من الأبرة ثم لا يلبث أن ينتشر كالجميز [1] .. » ولكن حتى الامثال تحتاج حالة نفسية مشابهة لفهمها .. إننا ندرك هذه الحكمة لان لها امتداداً نفسياً وعيناه .. لقد أشركتنا مذلتنا السياسية التي جربها الاحباش باستيعاب هذا الاثر. أما لو ترجم هذا (المثل) (للسويدية) فان كثيراً من المتذوقين لن يدركوه ، فقد يستغربون أن يكون الاجنبي شريراً .. إذلم تصادفهم تجربة واحدة خبيثة من التي وعيناها عنهم.

لكل امة نفسيتها الخاصة بها ، تؤثر بأغاني شعرائها وبتذوق عامتها .. فامتداد الشعر اليوناني يصل لهومر ، والشعر الايطالي يحتضن (فيرجيل وهوراس) وندرك هذا حين نتذوق (ليوپاردي)

إن الشعر كالنكتة : امتداد نفسي عميق لاخلاق المجتمع ومشاكله ، ورغباته ، وآلامه مكبوتة في العمق الباطن .. ثم تصدر — عند الحاجة — في أغنيات او مونولوجات او نكات .. كما كان يفعل (القاهريون) بمحتليهم من الانكليز ..

وقد تفسر النكتة التالية الامر برمته :

لقي يهودي صديقاً له (يهودياً ايضاً) فقال له (سائلاً) :[2]

-- Did you (take) a bath ?

فرد الآخر : -- No, is there one lost ...!!

فالتكثيف في لفظة (Take) الذي حملها الآخر بمعنى (سرق أو اخذ) فان لاختلاط الحادث في نفسية اليهودي الآخر تفسيراً لامر يفعلونه وحدهم بغير جهد أخلاقي أو ضميري مضاد! . فعندما تعرب هذه النكتة تفقد طلاوتها ، معلقة سامعها بين السماء والارض.

وقد نصادف معنى في الشعر مزدوجاً فيختلط الامر في اذهاننا كما قال احد المفكرين [3] :

« إن الامر كما قال ارسطو . فلا يكفي Swallow واحد ليكون بشيراً بالصيف او ليطفيء الظمأ .. » ، فكلمة Swallow اعطت الازدواج لانها تعني إما عصفوراً اخضر وإما جرعة شراب ، وقد تصادفنا في الشعر الفاظ كثيرة تعطي معاني عجيبة ، ولكننا نسلم دوماً بحكم القاموس الجامد ..

يقول (هاكسلي) في « الموسيقى في الليل » : حين نريد فهم السيمفونية الخامسة لبيتهوفن ، فاننا لا نقرأ ما يكتبه النقاد عنها .. إننا ننصت حينئذ للموسيقى ، ولموسيقى بيتهوفن خاصة .. وإلى سيمفونيته الخامسة بالذات .. »

إننا لا نتحمل ان ينقلنا (مترجم) الى لغته الخاصة ، بفهمه الخاص ، ومشاعره الخاصة .. إنه يبعدنا عن الاصل باستمرار خلال (تنقيته) الذاتية للأبيات ..

تصور جملة كالآية : « كلا إذا دكت الارض دكا دكا .. وجاء ربك والملك صفا صفا .. » تصوروا هذا النغم العبقري مترجماً الى لغة اجنبية !

وقد نتصور بعض الذي يحدث حين نعرض الترجمة لجملة (ماكبث) :

« And nothing is, but what is not .. »

الموجود الحق هو في الحسبان . !

إن اللغة جهد نفسي يؤثر بالشعر ، فجمود الالمانية اعطى عقلانية (جوت وشيللر) والايطالية بالعكس فهي لغة غنية بالموسيقى اللفظية لان معظم كلماتها منتهية بأحرف متحركة (i, e, a, o) معطية هزة بديعة للألفاظ ، وإمكاناً بانتشاء

دار مكتبة الاندلس تقدم

ارقى طبعة واحدثها من شرح

نهج البلاغة

شرح الامام الشيخ محمد عبده

وعليها هم شروح ابن ابي الحديد وابن ميثم البحراني

اشرف على طبعه الاستاذ عبد العزيز سيد الاهل

طبعة انيقة على ورق ممتاز

صدر الجزء الاول والثاني وثمن الجزء ٢٥٠ غ.ل

يطلب من جميع المكتبات

١ من الأمثال الحبشية ، ترجمة : دكتور مراد كامل.

٢ (قانون تكوين النكتة) جون وزدم . مجلة علم النفس .

٣ المصدر السابق .

أعظم .. فأي ترجمة دقيقة تستطيع منحنا جلال هـذا الشطر المسكر :

« Percio non lacrimai né rispous io » [1]

الشعر يجنح للعالمية فعملاق كاليوت يضمن أشعاره الفرنسية واللاتينية إنما يدلل بالاتجاه الذي سيندفع له الشعر : انه يحتاج العمق .. يتجه للبشر (بعكس كبلنج). ولايدرك (إليوت) إلا من قارىء مثقف، فحسبه ان يقول: يُحيى للحظة (كوريولان مهزوماً) [2] ليختلط الامر على المتذوق العربي . إن عناصر ثقافته تمتد من اليونان لايطاليا لفرنسا .. فالمترجم يحتاج ثقافة المرهص ليعرّب المضمون والظلال .. ولكنه حتى لو فعل — وهذه استحالة — فانه لن يستطيع نقل عنصر الرقص الذي يعطيه لنا الشعر .. وليس الامر هيناً بالبساطة نفسها التي ندرك بها شوقي أو عريضة ..

إن الشعر العربي القديم يتحدث عن الجو والبيئة والحرارة والنوق .. وهو بالجملة امتداد للحداء عندهم ، معبراً ادق تعبير عن نفسية شعب صحراوي خشن .. افيستطيع فنلندي في صقيع الثلوج ان يهضم تعبيراً يشبه الصحراء بالجحيم ؟

إننا نستهين (بأوتيللو) الغيور ، ونحسب مزاجه الحاد تهويشاً ، ومزاحاً . ذلك لاننا لم نعش تجربته التي طواها في اعماقه ، وهي تمس سواد بشرته عن قرب ، إننا لا نستطيع تذوق الاثر بلا دراسة لنفسية الامة التي نقرأ لها .. فاذا لم يكن شعر هذه الامة تعبيراً عن اخلاقها واتجاهاتها وأحلامها وأغوار باطنها .. فما يكون ..؟! نحن نحتاج ثقافة كبيرة إذن لفهم تراث ما : أفيكون (سيجفريد) مجرد (سوپرمان) من خلق (فاجنر) ..؟!

نحتاج ثقافة الامة حين نترجم أغانيها .. ولكننا سنفلت الموسيقية حتماً ، واحرى بالشعر — بلا موسيقى — ان يكون اي شيء إلا ان يطلق عليه اسم شعر ..

نستطيع الايحاء للمتذوق بما يقصده الشاعر . ولكننا نعجز عن منحه الهزة الراقصة — والتي هي كل الشعر — « قدحنا الزناد ، واشعلنا الشبوق ، ودخنا قليلًا .. وتحدثنا وتبادلنا الاكاذيب .. » [1]

عرض واضح لتتابع قصصي .. ، وحكاية تسرد .. نلاحظ في Epilogue « لاودن » تكثيفاً عنيفاً للألفاظ يؤكد استحالة نقل الهزة:

« Out of this house» -Said rider to reader
« Yours never will» -said farer to fearer
«They're looking for you - said hearer to horror..»

عبث ان نقرأ ترجمة إليوت او اسبندر او ريلكه، وعبث اكبر ان نحاول صنع موسيقية للترجمة المنثورة .. ، وعبث اشد وانكى ان نحاول فهم الظلال من كل ذلك (العبث) الذي نتذوقه ..!

القاهرة — **محي الدين محمد**

---

١ أوجوللينو دللا جيراردسكا من (الكوميديا الالهية) لدانت ، وترجمة الشطر :
«ومع ذلك فلم أبك ولم أتكلم .. »

٢ (Revive for a moment a broken coriolanos) من الأرض الخراب .

١ من (الخال حسن الأكبر) للشاعر رضا توفيق (ترجمة حمزة طاهر) .

هل يحاول مالينكوف حقاً تغيير الحكم في روسيا .. ؟
هل يحاول مالينكوف محو آثار الحكم الستاليني .. ؟
هل تريدان تعرف كيف تجري الحياة داخل الاتحاد السوفياتي ؟
هل تريدان تعرف كيف كانت الحياة في روسيا ايام حكم "الرجل الواحد" .. ؟
هل تريدان تعرف كيف هي اليوم تحت حكم "جماعة الزعماء"

كتاب
الحياة في الاتحاد السوفياتي
بعد ستالين

يوضحها لكم جلية مجردة عن كل غرض

الثمن ١٢٥ ق.ل. — يطلب من جميع المكتبات

مكتبة المعارف في بيروت